المحاضرة رقم:05 في النّقد الأسلوبي

الأسلوبيّة الإحصائية

****01/تعريف البعد الإحصائيّ في دراسة الأسلوب:***

هو من "المعايير الموضوعيّة الأساسيّة الّتي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب، وتمييز الفروق بينها، ويكاد ينفرد من بين **المعايير الموضوعيّة** بقابليّته لأن يستخدم في قياس الخصائص الأسلوبيّة كائنا ما كان التّعريف الّذي يتبنّاه الباحث للأسلوب، أو الطّراز النحويّ الّذي يستخدمه"[1].

****02/أهميّة الإحصاء:***

تبرز أهميّة الإحصاء إلى قدرته على التّمييز بين السّمات أو الخصائص اللّغوية الّتي يمكن اعتبارها خواصا أسلوبيّة، وبين السّمات الّتي ترد في النصّ ورودا عشوائيا، أو كما يرى **"ليش"** إلى أهميّة التّمييز بين ما يتضمّنه النصّ من انحراف متفرّد دال في استعمال اللّغة، وبين الشطط الّذي لا متعة فيه[2]. وببيان ذلك أنّه ليس كلّ انحراف جديرا بأن يعدّ خاصّة أسلوبيّة هامّة، بل لا بدّ لذلك من انتظام الانحراف في علاقاته بالسّياق، كما أنّ إلحاح المنشئ على أنماط معيّنة من انحرافات الاستعمال وإيثارها على غيرها من البدائل وما قد تسفر عنه المقارنة بين النّص المدروس والنّص–النّمط من اختلاف في نوعيّة البدائل المستخدمة وكثافتها، كلّ أولائك يعدّ من المقوّمات الأساسيّة لتمييز الأساليب، ولا بدّ للكشف عن ذلك كلّه من إجراء القيّاسات الكميّة الدّالة[3].

****03/ مراحل استخدام الإحصاء في دراسة الأسلوب:***

مرّ استخدام الإحصاء في دراسة اللّغة بمرحلتين؛ ساد في أولاها اتّجاه يهدف إلى قياس الخصائص العامّة (أو المشتركة) في الاستعمال(The universals)، أمّا في المرحلة الثّانية فقد ساد اتّجاه مقابل هدفه التّوصيل إلى الخصائص الفارقة (أو المميّزة) بين الأساليب (The differentials)، ومن الطّبيعي أن يولي دارسو الأسلوب الاتّجاه الثّاني أكبر اهتمامهم على حين تولّى بعض المشتغلين بعلم اللّغة العام تطوير الدّراسات في الاتّجاه الأوّل.

---

[1] سعد مصلوح: الأسلوبيّة دراسة لغويّة إحصائيّة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط03، 1996، ص51.

[2] N. Leech :Linguistics and the figures of rhetoric, in essays on style and language, edited by R. fowler,p141.

[3] سعد مصلوح: الأسلوبيّة دراسة لغويّة إحصائيّة، ص51، 52.

والحقّ أنّ الاتّجاهين يتكاملان في دراسة الأسلوب لا يستغنى بأحدهما عن الآخر، ذلك أن تعرّف دارس الأسلوب على الخصائص العامّة يمكّنه من القيّام بتنحيتها والتّركيز على الفروق المميّزة[1].

04/متى يلجأ الدّارس إلى الإحصاء:

يلجأ الباحث الأسلوبيّ إلى الإحصاء لقياس معدّلات تكرار المثيرات أو العناصر اللّغوية الأسلوبيّة، ويسعى التّحليل الأسلوبيّ في النّهاية إلى تحديد السّمات الأسلوبيّة للنصّ الأدبيّ أو النّصوص المدروسة، وتتميّز هذه السّمات بمعدّلات تكرار عاليّة نسبيا، ولهذا أهميّة خاصّة في تشخيص الاستخدام اللّغوي عند المبدع، وليس التّحليل الإحصائيّ للنصّ الأدبي بعيدا عن وصف التّأثيرات الإخباريّة الدّلالية والجماليّة لتلك الجوانب اللّغوية في النّصوص، ويضاف إلى ذلك تحديد قيمتها الأسلوبيّة في إبداع المعنى، سواء من خلال الصّيغ الّتي تصاغ فيها الخبرات والتّجارب أو من خلال التّراكيب اللّفظية الّتي تقدّم إمكانات مساعدة على إبداع المعنى من خلال اجتماع الألفاظ في وحدة عليا.

لقد أصبحت الطّرق الإحصائيّة في الدّراسات الأسلوبيّة أكثر شهرة باستعمال الحاسوب، الذّي يمكنه أن يسهم إلى حدّ كبير في تزويد الدّارس بمعلومات إحصائيّة لها صلة بموضوع النّص المدروس، وبناء على ما يتوصّل إليه الباحث المتتبّع لطريقة الإحصاء من ملاحظات فيما يتعلّق باستعمال أساليب معيّنة وبحسب شيوعها أو عدمه، بحسب الإطناب فيها أو الإيجاز، أو بحسب الإكثار منها أو التّقليل من تكرارها، يبني استنتاجاته ويقدّم ملاحظاته[2].

05/الانزياح والإحصاء:

وإذا كان الأسلوب هو انزياح كما عدّه **"فاليري" و"بالي"**، فإنّ الإحصاء هو العلم الّذي يدرس الانزياحات والمنهج الّذي يسمح بملاحظاتها، وقياسها، وتأويلها، ولذا فإنّ الإحصاء لا يتوانى عن فرض نفسه أداة من الأدوات الأكثر فاعليّة في دراسة الأسلوب.

فالإحصائيّة والحقّ يقال ضحيّة لاتّجاهين، فمن جهة أولى؛ يخلط الإحصائيّون غالبا بين الكمّ والنّوع، ولم ينجحوا حتّى يومنا هذا في تحديد العلاقة الوظيفيّة بين المستويين، ولهذا السّبب شكلّت تحليلاتهم عموما

---

[1] سعد مصلوح: الأسلوبيّة دراسة لغويّة إحصائيّة، ص52.

[2] نور الدّين السّد: الأسلوبيّة وتحليل الخطاب دراسة في النّقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشّعري والسّردي، دار هومه، الجزائر، دط، 2010، ص114.

جداول حزينة من العوامل والانزياحات العدديّة لا يظهر معناها، وإذا ظهر كان مفرطا وساذجا في نظر كلّ أولائك الّذين يكرهون أن يقنّنوا القيّم الجماليّة في مجرّد علاقات كميّة[1].

06/الانتقاد الّذي وجّه للأسلوبيّة الإحصائيّة:

صحيح أنّ هذا **الاتّجاه يعنى بالكمّ وإحصاء الظّواهر اللّغوية** في النّص ويبني أحكامه بناء على نتائج هذا الإحصاء. ولكن هذا الاتّجاه إذا تفرّد فإنّه لا يفي الجانب الأدبيّ حقّه؛ فإنّه لا يستطيع وصف الطّابع الخاصّ والتفرّد في العمل الأدبيّ وإنّما يحسن هذا الاتّجاه إذا كان مكمّلا للمناهج الأسلوبيّة الأخرى[2].

ويبقى أنّ المنهج الإحصائيّ أسهل طريق لمن يتحرّى الدّقة العلميّة ويتحاشى الذّاتية في النّقد[3]، ويجب أن يستخدم هذا المنهج كوسيلة للإثبات والاستدلال على موضوعيّة النّاقد أي بعد أن نتعامل مع النّص بالمناهج الأخرى الّتي تبرز جوانب التميّز فيه.

الخاتمة:

لا تنحصر أهميّة القيّاس الكمّي للأسلوب في مجالات الدّراسة الأدبيّة عامّة ونقد الأدب خاصّة، بل تتجاوزها إلى دائرة واسعة من العلوم الإنسانيّة الّتي تهتمّ بعمليّة الاتّصال اللّغوي، وتأتي اللّسانيات النّفسانية في مقدّمة هذه العلوم، حيث تستخدم هذه القياسات كمؤشّرات هامّة في التّعرف على القدرات ودراسة كثير من الجوانب المتّصلة بالشّخصية، والأسس النّفسية للإبداع القوليّ. ويعتبر تحليل المضمون من الوسائل الهامّة المعتمدة في اللّسانيات الإحصائية، بل إنّه يحتلّ مكانة خاصّة في دراسة الرّسالة الإعلاميّة بكافّة أشكالها ووسائلها سواء في الإذاعة أو التّلفزيون أو الصّحافة وسواء في مجال المقالة أو الخبر أو الإعلان[4].

---

[1] بيير جيرو: الأسلوبيّة، تر: منذر عيّاشي، مركز الإنماء الحضاري، سوريا،ط01، دت، ص134.
[2] محمّد سعيد اللّويمي: في الأسلوب والأسلوبيّة، مكتبة فهد الوطنيّة، المملكة العربيّة السّعودية، ط01، 2005، ص46.
[3] محمّد عبد المطّلب: البلاغة والأسلوبيّة، مكتبة لبنان، ط01، 1994، ص198.
[4] سعد مصلوح: الأسلوبيّة دراسة لغويّة إحصائيّة، ص64.